المحاضرة الثانية: حضارات العصر الحجري القديم الأسفل

استغرق العصر الحجري القديم الأسفل مدة زمنية طويلة جدا، دامت من حوالي 2.6 مليون سنة إلى حوالي 120 ألف سنة، عرفت فيه الأنواع البشرية تطورا ملحوظا من الناحية الأنثروبولوجية والثقافية في نفس الوقت، حيث أظهرت الشواهد المادية الأثرية المتمثلة في البقايا البشرية المكتشفة في الكثير من المواقع الإفريقية على وجه التحديد، تنوعا في الجناس البشري، أثر هذا الأخير على تطوير سلوكيات الإنسان.

إن ثراء المنتوج الثقافي أدى إلى تمييز وجهين ثقافيين خلال هذه الفترة الزمنية، الأول يمثل الوجه الثقافي الألدواني والثاني الوجه الثقافي الأشولي، واعتبر الأول أولى ثقافات ما قبل التاريخ والذي استغرق أطول مدة زمنية في تاريخ الإنسانية.

إن شمال إفريقيا منطقة هامة للأبحاث على نشاطات الإنسان الحفري وتطوره، بحيث تعتبر أساسية لمعرفة انتشار السلالة البشرية عبر القارة الإفريقية، بل لمعرفة المسار المنتهج من طرف هذه المجموعات البشرية وانتقالها عبر هجرات متتالية إلى القارة الأورو-أسياوية، إن هذه النظرية التي أثارت ضجة بين جمهور الباحثين المختصين مازالت تشكل نقاشات حادة في ميدان البحث لفترة ما قبل التاريخ.

1/ الحضارة الألدو انية:

1-1/ تعريفها: ينسب اسم الوجه الثقافي الألدواني إلى موقع ألدوفاي الشهير"Olduval" الواقع جنوبي بحيرة فيكتوريا بشمال تنزانيا، وهذه المجموعات الصناعية تسبق الأشولية وتضم أدوات ذات تقصيب بسيط قائم على أساس تقصيب الحصى، أو تعرف بالحصى المشذبة أو المهيأة le galet aménage"، امتدّ الألدواني فترة زمنية تفوق المليوني سنة، وتطور في نهايته إلى الصناعة الآشولية،

وكان هذا الموقع محل حفريات منظمة منذ العشرينات قام بها عالم الآثار لويس ليكي وواصلتها زوجته "ماري" في السبعينيات من القرن الماضي، وولداه من بعده، وتُوّجت بعدد هام من الاكتشافات تتعلق بأدوات حجرية ومستحثات وحيوانية بشرية عرفت بالأسترالوبتكوس بوازي Australopithecus boisei/aethiopicus والانسان الماهر "الصانع Homo Habilis".

1-2/ خصائص الوجه الثقافي الألدو اني:

- يقوم الانسان الصانع بتهيئة كتلة حجرية بطريقة سريعة، ويحولها إلى أداة بإزالة شظايا من وجه واحد لهذه الكتلة ليحصل على شوبر Chopper.

- تعد الصناعية الألدوانية أبسط مركب صناعي حجري، وهو يعرف كذلك بالصناعة الحصوية أو صناعة الشوبر. وتتميز هذه الحضارة بأدوات صنعت على أساس تقنية بسيطة من طرف البشريات الأولى، والتي تتمثل على وجه الخصوص في النويات بالإضافة إلى الشوبر، أشباه الكرويات وكرويات الشكل إلى جانب متعددة الأوجه، كما تعتمد هذه الصناعة على تقنية التقصيب المتميزة بقلة الأدوات المهذبة. أهم تقنيتي التشذيب المستعملة، هي الطّرق المباشر بالطّارق الصّلب وتقنية التشذيب الثنائي القطب وتبقى تقنية التشذيب بالطارق الصلب هي التقنية الأكثر استعمالا.

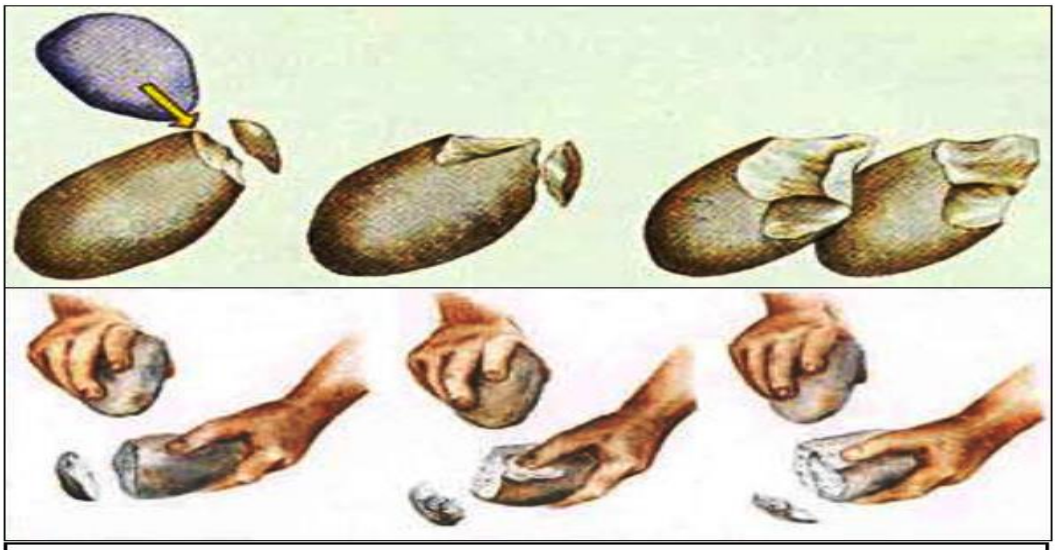

رسم يمثل طريقة تصنيع الأدوات الحجرية الألدوانية النموذج التكنولوجي الأول

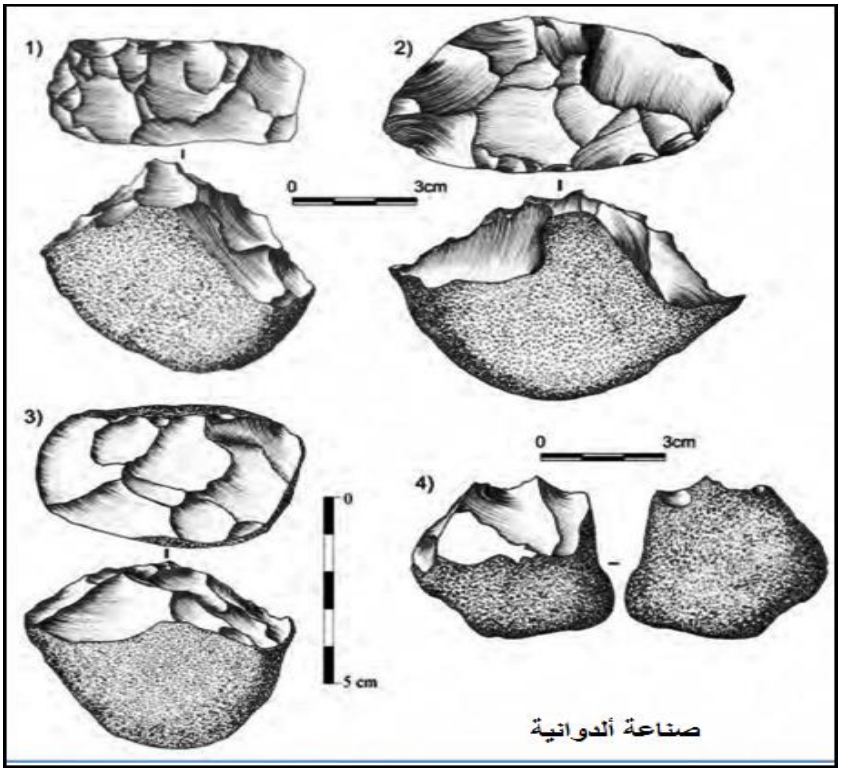

صناعة ألدوانية

1-3/ إنسان الوجه الثقافي الألدواني:

يعتقد المختصين أن هناك سّلالتين بشريتين يمكن أن تكونا مسؤولتين على إنتاج الأدوات الحجرية الألدوانية، وهي التي عاشت في حدود 2.5 مليون سنة بشرق إفريقيا. أوّلها هو اكتشاف *Australopithecus boisei/aethiopicus* الذي عثر عليه في كلّ من موقع أومو وفي غرب توركانا، كم اكتشفت في السّنوات الأخيرة، بقايا عظمية بشرية في موقع بوري بإثيوبيا، أطلق عليها اسم *Australopithecus garhi* واعتبر بعض الباحثين أنّ هذا الأخير هو صانع ومستعمل أقدم الأدوات الحجرية للحضارة الألدوانية، إلا أن هذه الفرضية لقت جدلا كبيرا وافضت إلى اعتراض الكثير من المختصين.

يتفق جل الباحثين على أنّ الإنسان القديم المنتمي إلى نوع Homo، الذي اكتشف في كل من موقع أومو (2.4 - 2 مليون سنة)، وموقع هادار (2.4 - 2.3 مليون سنة)، والمتزامن مع الصناعات الحجرية لنفس المواقع ومواقع أخرى مثل لوكاللآي "كينيا"، هو المرشح الأمثل لصانعة او استعمال الأدوات الحجرية، والمتمثل في الإنسان الماهر.

جاءت تسمية الإنسان الماهر Homo Habilis من طرف الباحث ليكي سنة 1964، بعد اكتشافه لهذا النوع من البشريات القديمة خلال أبحاثه الأثرية في موقع ألدوفاي بتنزانيا في بداية عقد الستينات من القرن الماضي، أعقبتها اكتشافات عدة بمواقع هادار وأومو بإثيوبيا وكوبي فورا بكينيا وأرخت بقايا هذا النوع بين 2.45 مليون سنة و 1.55 مليون سنة، كونه يحمل خصائص إنسانية أعتبر كأقدم ممثل لسلالة البشرية.

سمي بهذا الاسم أي الإنسان الماهر نظرا للسعة الدماغية التي تبلغ حوالي 550 إلى 650 سنتيمتر مكعب، بالإضافة إلى أنه صانع للأدوات الحجرية، ويتميز على العموم باستقامة قريبة لاستقامة الإنسان الحالي، كما يتسم أيضا بطول على مستوى الأطراف العلوية مما يوحي بقدرته على تسلق الأشجار.

1-4/ <u>مو اقع الوجه الثقافي الألدو اني في شمال إفريقيا:</u>

تنحصر معظم المواقع الألدوانية في المغرب الأقصى والجزائر، ويبقى تواجدها في تونس نادرا، ولم تشر عليه الأبحاث إلا لذكر أداة من نوع شوبر في إحدى المواقع، يحتوي المغرب الأقصى على سلسلة من المواقع على ساحل المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة الدار البيضاء، وقد أقيمت الأبحاث في هذه المنطقة لأول مرة من الباحث الفرنسي بيبرسن حيث تم اكتشاف عدة مواقع تعود للعصر الحجري القديم الأسفل مثل: موقع سيدي عبد الرحمان، موقع العرباوة، موقع دوار الدوم، موقع تيرقايت الرحلة. أما في الجزائر فهناك مواقع عدة مماثلة في الشمال على غرار موقع عين لحنش، موقع المنصورة، موقع جبل مكسم، موقع بجبال التسالا، وفي الصحراء مثل موقع رقان، وموقع ببرج تانكانة، موقع أولف بمنطقة الساورة .

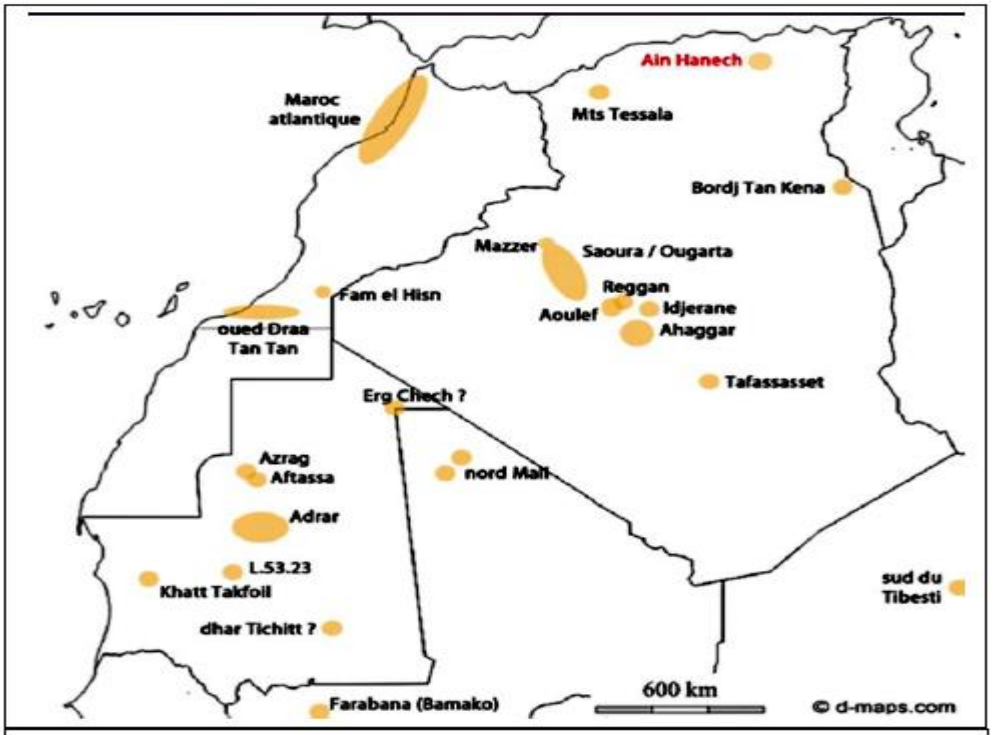

خريطة تمثل توزيع مواقع الحضارة الألدوانية عبر شمال إفريقيا

5-1/ **<u>موقع عين لحنش</u>**:

يقع هذا الموقع في بلدية القتلة الزرقاء، شمال غرب دائرة العلمة بحوالي 7 كلم (30 كلم عن سطيف، اكتشف موقع عين لحنش من طرف الباحث الفرنسي كامي أرامبورغ Camille Arambourg خلال أبحاثه الباليونتولوجية على التوضعات القارية بمنطقة بني فودة، بدأت الأبحاث في المنطقة سنة **1931** حيث أجرى الباحث العديد من التحريات والحفريات في الضفة اليسرى لوادي بوشريط، توصل من خلالها إلى اكتشاف عظام لحيوانية عتيقة منقرضة تنتمي إلى فترة الفيلافرنشي،

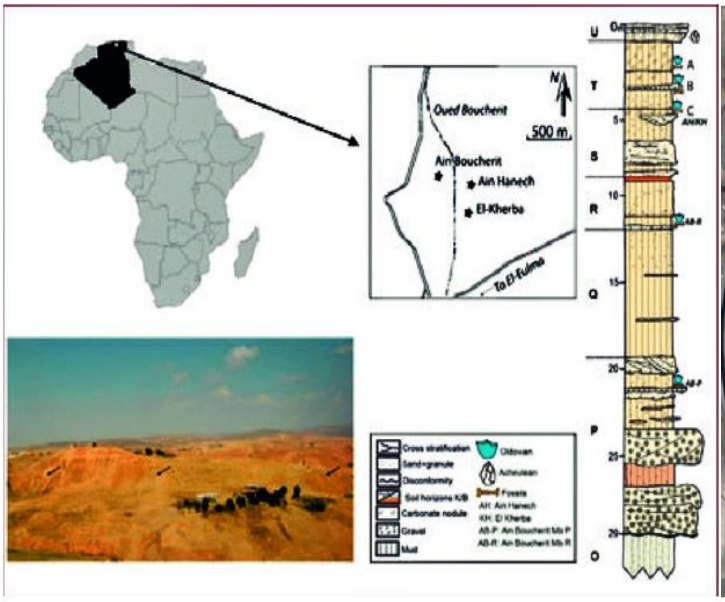

استأنفت الأبحاث سنة 1947 في الضفة اليمنى من وادي بوشريط، واكتشف بقايا حيوانية مصحوبة بصناعة حجرية ترجع للبلايستوسين الأسفل، وصفها الباحث حينها بأدوات حجرية "غامضة" مستخرجة من المستوى الفيلافرنشي، كنتيجة لعمله قام بنشر مونوغرافيا في ميدان الباليونتولوجيا تخص الفصائل الحيوانية الحفرية للزمن

الجيولوجي الرابع لشمال إفريقيا، وفي سنة 1992 قام محمد سحنوني بفتح حفرية عين لحنش بمحاذاة الموقع الأصلي، بالإضافة إلى مواقع مجاورة منها موقع الخربة والبيضاء، ركز الباحث سحنوني على إرساء مشروع يؤسس لمقاربة حديثة تهدف لإبراز البيئة القديمة التي عاش فيها الإنسان القديم خلال الفترة الألدوانية والنموذج السلوكي والخصائص التكنولوجية للصناعة الحجرية التي خلفها،

6-1/ <u>مميزات الصناعة الحجرية لعين الحنش</u>:

تنتمي الصناعة الحجرية لموقع عين الحنش بمختلف مستوياتها إلى النموذج التكنولوجي الأول، وهي شبيهة بالمجموعات الصناعية الحجرية الألدوانية لمرحلة البليو -بليستوسان المعروفة في إفريقيا والمؤرخّة ما بين 2.6 و 1.5 م.س، بموقعي ألدوفاي وكوبي فورا، وهي متكوّنة من نوعين أساسيين من الأدوات الحجرية (حصى مشذّبة وناتج التقصيب) الشظايا المهذّبة وغير المهذّبة، وتتميّز هذه الصناعة الحجرية بدرجة منخفضة من القياسية باعتبار درجة التشذيب غير الموحّدة، ومورفولوجية الحصى المشذّبة ذات النسق المختل . أمّا المواد الأولية المستعملة فهي أساسا نوعان، الحجر الكلسي وحجر الصوّان، مع استعمال قليل لأنواع أخرى الحجر الرملي والكوارتزيت، وهذه المواد الأوليّة متوفّرة بضواحي الموقع.

كما يعتبر موقع عين بوشريط أقدم موقع بشمال إفريقيا، اكتشفت فيه نماذج لصناعة حجرية عتيقة ومتشابهة بالتي اكتشفت في مواقع الألدوانية القديمة وهي تظهر تنوعا تكنولوجيا مقارنة بالصناعة المكتشفة في شرق إفريقيا، ومن جهة أخرى قدم الموقع ببقايا عظمية تحمل أثار قطع، ما يدل على تصنيعها من طرف الإنسان، طبقت طريقتين لتأريخ الموقع الأولى المغناطيس القديم والثانية طريقة الرنين المغناطيسي الإليكتروني على حبات الكوارتز (RPE) حيث أرخ الموقع من خلالهما بين 1.9 و 2.4 مليون سنة وصنف ضمن أقدم المواقع الألدوانية في العالم.

2/ الحضارة الأشولية:

يعد الوجه الثقافي الأشولي ثاني أقدم حضارة إنسانية تنتمي إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل، وتأتي مباشرة بعد الوجه الثقافي الألدواني، حيث أن هذا الأخير يعتبر القاعدة الثقافية التي تطورت من خلالها الحضارة الآشولية، انتشر الوجه الثقافي الأشولي في إفريقيا وآسيا خلال فترات مبكرة تفوق المليون سنة بالنسبة لبعض المواقع، أما بالنسبة للمواقع الأوربية فهي كلها دون المليون سنة، ويبقى الجدل العلمي قائما فيما يخص توضيح الملامح الثقافية المتعلقة بالفترة الانتقالية بين الحضارة الألدوانية والحضارة الأشولية، وكذلك فيما يخص كيف ومتى تم انتشار الوجه الثقافي الشولي خارج القارة الإفريقية.

2-1/ تعريفها:

تعتبر هذه الحضارة من أبرز الحضارات التي تميز بها العصر الحجري القديم الأسفل، وتنسب لموقعها النموذجي سانت أشول Saint Acheul بالقرب من أميان "Amiens" شمال باريس، ويعود الفضل في تحديدها وتسميتها أول مرة للأثري de Mortillet G سنة 1872، ثم درست من قبل العديد من الباحثين أمثال بورد François Bordes والقس بروي Abbé Breuil، ويقصد بها تلك الصناعات الحجرية الغنية بالأدوات ذات الوجهين والفؤوس اليدوية، وتعود بدايات الحضارة الأشولية إلى 1.6 مليون سنة في موقع ستاركوفونتان في جنوبي إفريقيا، وفي موقع العبيدات في فلسطين ويُؤرخ بـ1.4 مليون سنة، أما في أوربا فأقدم موقع لها هو موقع أبفيل الذي يعود 100 ألف سنة، أما في منطقة شمال إفريقيا فتعود لحوالي نصف مليون سنة.

2-2/ خصائص الوجه الثقافي الأشولي:

يتميز الوجه الثقافي الآشولي عن الوجه الثقافي الألدواني بالعديد من المميزات الجديدة بالرغم من كون الأول يعتبر تطور للثاني، فالحضارة الأشولية تختص بظهور خصائص صناعية وتقنية جديدة وبداية تناقص حجم الأدوات الحجرية مقارنة بمثيلاتها الألدوانية، هذا الأمر نتج بسبب اعتماد الإنسان الآشولي على صناعة الأدوات انطلاقا من الشظايا أكثر منه على الحصى هذا من جهة، ومن جهة ثانية اكتساب الإنسان لتقنية جديدة مكنته من تطوير الصناعة الحجرية. وعلى العموم يمكن أن نجمل خصائص الحضارة الآشولية فيما يلي:

- ظهور أدوات حجرية جديدة تعد بمثابة السمة الأساسية لها والمتمثلة في ذات الوجهين والفؤوس اليدوية الإفريقية.
- معظم الأدوات الحجرية مصنوعة من الشظايا.
- تطور تقنيات الصنع واكتساب الإنسان للقدرة على تخيل الأدوات قبل صنعها وهي التقنية المسماة بالتقنية اللافلوازية "التقصيب".

- من أهم الأدوات المصنوعة خلال الحضارة الآشولية هي: ذات الوجهين، الفؤوس الأفريقية، الشظايا بمختلف أنواعها، المحكات والمكاشط.
- اكتشاف النار، الأمر الذي أسهم في إضفاء تغيير على مستوى الحياة الاجتماعية، وكذا تطور في تصنيع الأدوات الحجرية بتعريض المادة الأولية للحرارة ومنه سهولة التعامل معها.

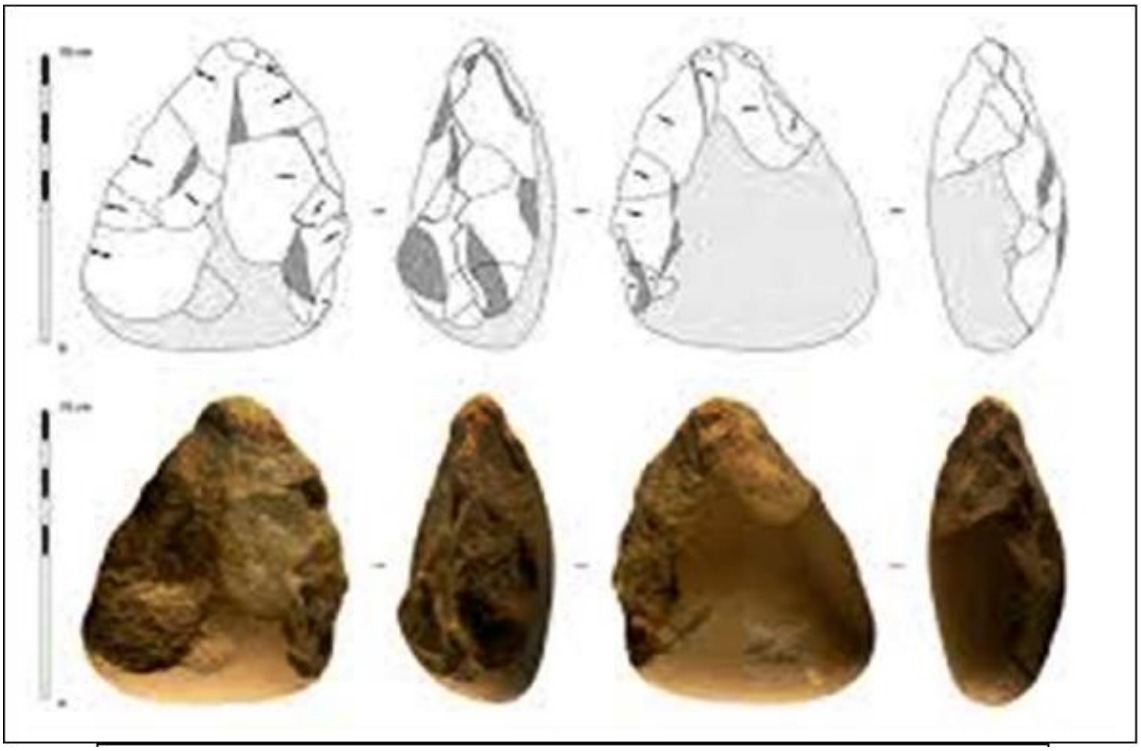

2-3/ <u>الصناعة الحجرية عند الأشوليين</u>: الصناعة الأشولية تتركب من عناصر عديدة ومختلفة الشكل، الحجم، التقنية.

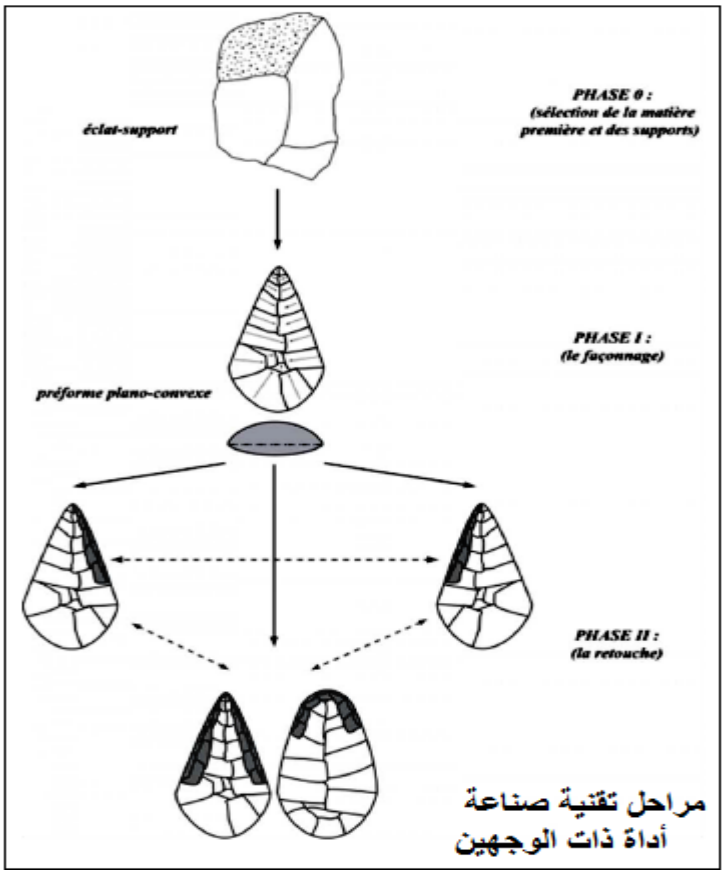

- **الفؤوس الإفريقية (Hachereaux) :** الفؤوس الإفريقية "الصغيرة" عبارة عن ذات الوجهين لكنه يكون متميز بقاطع عرضي بدل المدبب.
- **أداة ذات الوجهين (Biface) :** تعد ذات الوجهين أحد أهم سمات الحضارة الآشولية، وقد سميت بذات الوجهين كونها تقصب من الجهتين، حيت تحتوي على وجهين ومدبب في الجزء الأبعد وعقب في الجزء الأقرب، إضافة إلى حافتين قاطعتين على الجوانب، ولذات الوجهين عدة أشكال منها القلبية، اللوزية، المثلثية، لمتطاولة، الدائرية.
- **التفنية اللافلوازية:** سميت بالتقنية اللوفلوازية نسبة لموقع الاكتشاف وهو موقع لوفالوا بفرنسا، ظهرت في حدود 500.000 سنة هي عملية تخيل مسبق لشكل الأداة المراد تشكيها قبل عملية الصنع، اعتماد على طريقة صنع معين. أو ما تعرف بطريقة تحضير النواة. حيث يعمد الصانع إلى إجراء مسطح طرق على حصى ثم يقوم بتقصيب عمودي على هذا المسطح وأخيرا إحداث طرقة نهائية وبشكل أفقي على الجزء المنتفخ تخرج من جرائها الشظية المفضلة والتي تحول فيما بعد إلى أداة حجرية.

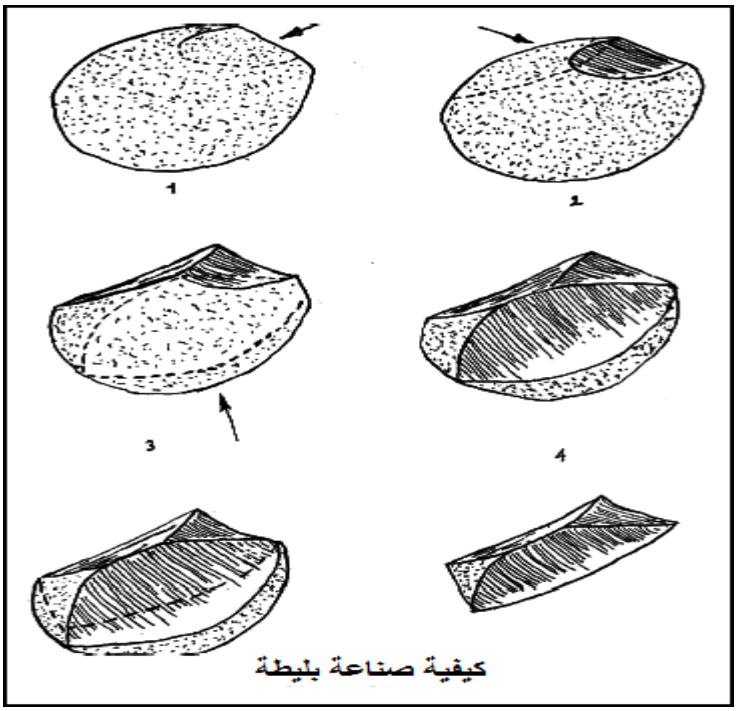

- **البليطات:** هي أدوات ذات حواف مستعرضة تأخذ اتجاها عموديا على محور القطعة الكبير، حيث يتم إعداد البليطات أولا بواسطة نزع شظايا عديدة من الحصاة تبعا لاتجاهات منطلقة من المركز، وثانيا قطع شظية كبيرة تكون بليطة، ويتم الحصول على الحرف المستعرض باتصال السطحين، سطح

الوجه الأعلى بسطح الوجه الأسفل، ويتم إعداد البليطة بعد تحديد شكلها العام مسبقا، وتسمي الطرقة الأخيرة التي تفصلها عن الحصاة أو النواة بالحصول على أداة صالحة للاستعمال.

2-4/ إنسان الحضارة الأشولية

صانع الحضارة الأشولية في إفريقيا متمثل في إنسان Homo Ergaster المقترح من طرف الباحث برنارد وود سنة 1991 الذي يؤرخ بحوالي 1.8 م سنة إلى 1 م س، وهو يمثل الإنسان المعتدل الإفريقي عثر عليه في العديد من المواقع الإفريقية مثل ألدفاي بتنزانيا وخاصة ناكاتومي الطفل "الجمجمة KNMER 992" التي اكتشفها ريشارد ليكي سنة 1971 بكينيا، جل الباحثين يعتقدون في كون الحضارة الآشولية تطورت على يد الإنسان المنتصب Homo erectus ، الذي انتشر في آسيا على وجه الخصوص هذا الأخير يحمل صفات إقليمية دفعت بالباحثين إلى تقسيميه إلى ما تحت عائلات بالنظر للخصائص المورفولوجية من جهة والتموقع الجغرافي من جهة ثانية، وقد عثر عليه لأول مرة في موقع جاوا بأندونيسيا حيث يمكن تمييز حوالي ثلاث أنواع أساسية، يتميز الإنسان المنتصب عموما بسعة مخية تصل إلى حدود 1050 س^3.

إنسان الأطلس "أتلانتروبيس موريطانيكوس Atlantropus mauritanicus": عثر على هذا الأخير في كل من موقع تغنيفين أو المعروفة بباليكاو بولاية معسكر، ويؤرخ بحوالي 600 إلى 700 ألف سنة ق.م، وهي عبارة عن ثلاثة فكوك سفلية، أحدها نصفي وعدد من الأضراس المنعزلة وتتصف هذه البقايا بالضخامة، كما عثر على جمجمة تتميز بغياب الجبهة في سيدي عبد الرحمان وعلى قوس جمجمة لفك علوي في موقع صالي بالمغرب.

2-5/ مو اقع الأشولية في شمال إفريقيا

تعود أقدم شواهد الحضارة الأشولية إلى شرق إفريقيا، وتؤرخ بحوالي مليون ونص سنة وترتبط بالإنسان المعتدل، حيث أن أقدم نماذجه موجودة هناك، ومن أهم مواقعه نجد أولدوفاي بتنزانيا في الطبقتين الثانية والثالثة، وكذلك وموقع مالكا كونتوري بكينيا، أما في المغرب القديم نجد بالمغرب الأقصى عدة مواقع بالقرب من الدار البيضاء، مثل مغارة الدببة بموقع سيدي عبد الرحمان (0,6 مليون سنة) وموقع محجرة توما (1,4 -1 م/س) وموقع ولاد حميدة (1 م/ س) أين اكتشفت مغارة وحيد القرن التي تحتوي على مستوي أثري للأشولي المتوسط.

أما في الجزائر فنجد كل من موقع تغنيف قرب معسكر الذي اكتشف سنة 1870، من قبل أرامبورغ الذي أجرى سلسلة من الحفريات الأثرية سنة 1954، فضلا عن موقع الرايح بنفس المنطقة، موقع الماء الأبيض بتبسة وشامبيلان وأوزيدان وبحيرة سفيان بشمال بباتنة، ومن أهم المواقع الصحراوية نذكر موقعي وادي تين مات وموقع أمقيد شمال غربي الهوقار، وكذلك موقع تاوريرت تان أفلا قرب إليزي، وموقع إهاران بمنطقة الطاسيلي.